حكمة القضاء والقدر

الله هو مالك هذا الكون وخالقه والمتصرف فيه، وله الحق –سبحانه– أن يفعل فيه ما يشاء، ولا يسأل سبحانه عن ذلك، يقول عز وجل في سورة الأنبياء **21** – آية **31** (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)، فلا نسأل لماذا أعطى الله فلان هذا الشيء ولم يعطيه آخر، أو لماذا حرم فلان من هذا الشيء ولم يحرم منه غيره، فهذا هو شأنه، ولكننا نعلم أن لكل شيء سبب وحكمة، وإذا ما إستعرضنا آيات الدرجات للناس في الأرض في القرآن الكريم سنلاحظ شيء مهم جداً، لاحظ معي:–

1. يقول عز وجل في سورة الزخرف **043** آية **032** (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ).
2. يقول عز وجل في سورة الأنعام **006** آية **165** (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آَتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ).
3. يقول عز وجل في سورة الأحقاف **046** آية **019** (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ).

فالدرجات قسمة من الله، والدرجات إبتلاء من الله، والإجابات على هذه الإبتلاء سيكون له نتيجة سريعة في الدنيا ونتيجة آجلة في الجنة، فإذا قبل الإنسان حكم الله ورضي به يكن من الشاكرين، وأما إذا رفض حكم الله، يكن من الكافرين، يقول عز وجل في سورة (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا).

فالمسلم لا يعترض على قضاء الله وقدره، إن كان فقيرًا أو ضعيفًا؛ لأنه يعلم أن الفقر والغني والقوة والضعف إنما هي من قضاء الله وقدره، يختص الله بها من يشاء من عباده، والمسلم يعلم أن إيمانه بالقضاء والقدر يجعله ينطلق في الأرض؛ ليتعرف على سنن الله وقوانينه، ويعمل على تعمير الأرض وبنائها، فيكون إيمانه بالقدر باعثًا له على النشاط والعمل، فإن كان النجاح فهو بقدر الله –عز وجل–، وإن فشل لا يجزع، بل يصبر ويعلم أنه قضاء الله وقدره، يقول عز وجل في سورة الحديد 57 – آيات 22–23 (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ).

والمسلم يعلم أن ما قدر له يكون، وما لم يقدر له لا يكون أبدًا، قال رسول الله:– (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعنْ بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان) (مسلم).

والمسلم يؤمن أن ما يحدث له يقع بالكيفية التي قدرها الله –عز وجل–، فأمره سبحانه بين الكاف والنون. يقول عز وجل في سورة آل عمران 3 – آية 47 (إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ). لذلك يوصي الرسول ابن عباس –رضي الله عنهما– فيقول: (.. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف) (الترمذي).